

المعهد الملكي للأنثروبولوجيا.. دلالات علمية وأبعاد معرفية

عبدالله بن علي دخيخ الغامدي



في خطوة تعكس اهتمام القيادة الرشيدة - أيدها الله - بدعم البحث العلمي وتعزيز مكانة العلوم الإنسانية في مسيرة التنمية الوطنية، صدر قرار مجلس الوزراء بالموافقة على تأسيس المعهد الملكي للأنثروبولوجيا والدراسات الثقافية، وهو قرار يمثل محطة علمية مهمة في مسار تطوير الدراسات الاجتماعية والثقافية في المملكة العربية السعودية.

ولا يقتصر هذا القرار على كونه خطوة تنظيمية أو مؤسسية فحسب، بل يعكس تحولاً نوعياً في الوعي بأهمية العلوم الإنسانية بوصفها أحد المفاتيح الرئيسة لفهم المجتمع وتحليل تحولاته الثقافية والاجتماعية.

ويأتي هذا التوجه في سياق التحولات التنموية والفكرية التي تشهدها المملكة في ظل رؤية المملكة 2030، التي أولت الثقافة والهوية الوطنية عناية خاصة، وسعت إلى دعم البحث العلمي وإنتاج المعرفة بوصفهما ركيزتين أساسيتين في بناء مجتمع حيوي واقتصاد معرفي مزدهر. ومن هنا فإن إنشاء المعهد الملكي للأنثروبولوجيا والدراسات الثقافية يمثل ترجمة عملية لهذا التوجه، وخطوة نوعية نحو تطوير الدراسات التي تعنى بفهم الإنسان والمجتمع والثقافة في المملكة.

ويمثل تأسيس هذا المعهد تحولاً نوعياً في مسار الدراسات الأنثروبولوجية والثقافية في المملكة العربية السعودية، إذ يفتح آفاقاً واسعة أمام البحث العلمي المتخصص في دراسة المجتمع السعودي وتحليل بنيته الثقافية والاجتماعية. فالأنثروبولوجيا، بما تمتلكه من أدوات منهجية رصينة كالدراسة الميدانية، والملاحظة بالمشاركة، وتحليل الممارسات الثقافية، تُعد من أهم العلوم القادرة على تقديم فهم عميق لأنماط الحياة والعلاقات الاجتماعية والقيم الثقافية التي تشكل هوية المجتمعات وتوجه مساراتها الحضارية.

فالأنثروبولوجيا في جوهرها ليست مجرد دراسة للثقافات أو المجتمعات، بل هي علم يسعى إلى فهم الإنسان في سياقه الاجتماعي والثقافي، واستكشاف أنماط التفكير والقيم التي تشكل سلوك المجتمعات وتوجه مساراتها الحضارية.

كما يُنتظر من هذا المعهد أن يساهم في تعزيز الدراسات الميدانية المتخصصة التي تهدف إلى فهم التحولات الاجتماعية والثقافية التي يشهدها المجتمع السعودي في ظل المتغيرات الاقتصادية والتقنية المتسارعة، فالمجتمع السعودي يعيش اليوم مرحلة تاريخية من التحول والتجديد، وهو ما يجعل الحاجة ملحة إلى دراسات علمية رصينة قادرة على تحليل هذه التحولات وفهم أبعادها الاجتماعية والثقافية.

ومن الجوانب المهمة التي يمكن أن يظطلع بها المعهد أيضاً توثيق التراث الثقافي المادي وغير المادي في المملكة، إذ يمثل هذا التراث أحد أهم مكونات الهوية الوطنية، فالمملكة تتميز بتنوع ثقافي واجتماعي كبير بين مناطقها المختلفة، وهو ما يجعل الدراسات الأنثروبولوجية أداة علمية مهمة لفهم هذا التنوع وتحليل أنماط الحياة والقيم الثقافية التي تشكل النسيج الاجتماعي للمجتمع السعودي.

كما يُتوقع أن يؤدي المعهد دوراً محورياً بوصفه منصة علمية رائدة لإنتاج المعرفة وتطوير الدراسات المتخصصة في مجالات الأنثروبولوجيا والدراسات الثقافية، وأن يساهم في بناء قواعد معرفية يمكن أن تسند السياسات الثقافية والتنموية في المملكة. فالبحث العلمي في هذا المجال لا يقتصر على الوصف والتحليل، بل يتجاوز ذلك ليقدّم فهماً علمياً يساعد صناع القرار على قراءة المجتمع وتحولاته قراءة دقيقة.

وفي هذا السياق لا يمكن إغفال الدور العلمي الذي تقوم به الجامعات السعودية في ترسيخ الدراسات الإنسانية والاجتماعية، ومن أبرزها كلية التربية بجامعة القصيم التي أسهمت عبر برامجها الأكاديمية والبحثية في دعم الدراسات التربوية والفكرية المرتبطة بالمجتمع والثقافة. ويبرز على وجه الخصوص قسم الفلسفة في أصول التربية الذي اهتم بدراسة الأبعاد الفكرية والثقافية للعملية التربوية، وسعى إلى ربط الفكر التربوي بالسياقات الاجتماعية والثقافية للمجتمع السعودي.

إن تأسيس المعهد الملكي للأنثروبولوجيا والدراسات الثقافية يمثل فرصة علمية واعدة لتعميق الدراسات الإنسانية في المملكة، وفتح آفاق جديدة للتعاون البحثي والأكاديمي بين الباحثين والمؤسسات العلمية. كما يعكس هذا القرار إيمان القيادة الرشيدة بأن بناء الإنسان وفهم المجتمع يمثلان أساساً لكل مشروع تنموي ناجح.

ومن هنا فإن تأسيس المعهد الملكي للأنثروبولوجيا والدراسات الثقافية لا يمثل مجرد إضافة مؤسسية جديدة، بل خطوة علمية تعزز مسار المعرفة الإنسانية في المملكة، وتفتح آفاقاً أوسع لفهم المجتمع السعودي في سياق تحولات العصر، بما يساهم في تعزيز حضور المملكة في مجال الإنتاج المعرفي في العلوم الإنسانية على المستويين الإقليمي والدولي.

عبدالله بن علي الغامدي

طالب الدراسات العليا بجامعة القصيم